التحليل الوظائفي لحكاية بنت الحداد لرابح بلعمري

The functional analysis of Rabeh Belamri's story "The mourn's daughter"

منصورية بن عبد الله ثالث*

المركز الجامعي مرسلي عبد الله " تيبازة " (الجزائر)

البريد الإلكتروني: البريد الإلكتروني: douae.ghofran@hotmail.fr

تاريخ الإرسال:2023/03/15	تاريخ القبول:2024/11/16	تاريخ النشر:2024/12/21

الملخص:

يعدّ التحليل الوظائفيّ خطوة حاسمة في تاريخ النقد، ومشروعا تمهيديّا تأسيسيا للسيميائية والبنيويّة؛ عني بدراسة مختلف المظاهر النّصّيّة للحكاية الخرافيّة باعتبارها كينا مستقلا يتفجّر بالمعاني والدّلالات الرّمزيّة المتعالقة والمتشابكة، التي دفعت النّقّاد والدارسين إلى سبر أغوارها واستخلاص أصولها المترسّخة في عمق هذه الدّلالة. وهذا ما سعينا إليه في ورقتنا البحثيّة التي حاولنا فيها الكشف عن الثّوابت والمتغيّرات في حكايتنا الموسومة بـ: بنت الحداد لرابح بلعمري، وذلك بتفكيك وحداتها لرصد أنساقها الهيكليّة واستنباط العلاقات من خلال الوظائف التي تؤدّيها؛ علاقتها بالفواعل الأساسيّة والمتغيّرة، وعلاقة الوحدات الوظيفيّة ببعضها البعض التي تشكّل في مجموعها بنية تركيبيّة منتظمة معقّدة متلاحمة الأجزاء.

الكلمات المفتاحية: التحليل الوظائفي، الحكاية الخرافية، الدلالات، الثّوابت، المتغيرات.

Abstract:

The functional analysis is a crucial step in criticism history and a founding project for semiotics and structuralism. It's concerned with studying the various textual aspects of a mythical story, since it's an independent entity full of intertwined senses and symbolic

* المؤلف المرسل : منصورية بن عبد الله ثالث

significances, which push critics and scholars to discover them and to deduce their origins in this significance roots. Through this research paper, we've looked for revealing the constants and variables in Rabeh Belamri's story "The mourn's daughter" through unpacking its units for monitoring its structural systems and deduce the relationships through the performed functions including its relationship with main variable actors and the functional units' relationship with one another forming a systematic complex interrelated syntactic structure.

Key words: the functional analysis, the mythical story, the significances, the constants, the variables.

مقدمة:

يعدّ فلاديمير بروب من أهمّ روّاد مدرسة الشّكلانيين الرّوس، اهتمّ بدراسة مجموعة من الحكايات الشّعبيّة الرّوسيّة، معتمدا في ذلك على النّظرة الهيكليّة الوصفيّة؛ باعتبار أنّ الحكاية هيكل وبنية مركّبة معقّدة، يمكن تفكيكها واستنباط العلاقات الّتي تربط بين مختلف وظائفها الّتي ترد متلاحمة تستقطبها غاية واحدة هي إصلاح هذا الافتقار؛ إنّها متتالية من الوظائف تبدأ بإساءة أو شعور بالنّقص لتنتهي بالزواج[1]، والغاية المنشودة من بناء المثال الوظائفي تجنّب ما سمّته النّظرة الكلاسيكيّة بالمبررات النّفسانيّة الّتي ينتج عنها الفعل، ليعدّ بذلك بحثه خطوة حاسمة في وضع منهجيّة جديدة لتحليل النّصوص القصصيّة[2].

وقد استطاع بروب أن يستخلص إحدى وثلاثين وظيفة بعد دراسته لـ 100 حكاية شعبيّة روسيّة وهي كالتالي: وظيفة الرّحيل éloignement، المنع interdiction، خرقtransgression، وظيفة استخبار interrogation، وظيفة اطّلاع information، وظيفة خداعtromperie، وظيفة تواطؤ عفويcomplicité involontaire، وظيفة إساءة méfait، وظيفة افتقار manque، وظيفة وساطة أو تفويض médiation، بداية الفعل المضادdébut de l'action contraire، وظيفة انطلاق départ، وظيفة للمانحpremier fonction du donateur، وظيفة تسلم الأداة السحرية réception de l'auxiliaire magique، انتقال البطل قرب المكان الذي توجد فيه ضالته تشكل هذه الوظيفة رحلة بين مملكتين يقتفي فيها البطل أثر دليل déplacement dans l'espace entre deux royaumes، وظيفة صراعcombat، وظيفة علامة marque، وظيفة انتصار victoire، وظيفة تقويم الإساءة réparation، وظيفة العودة أو الرجوع retour، وظيفة مطاردة poursuite، وظيفة إسعاف البطل بالنّجدةsecours، وظيفة الوصول خفية arrivée incognito، وظيفة مطالبات كاذبة prétentions mensongères، وظيفة التعرّف على البطل reconnaissance du héros، نزع القناع عن المتعدّي

أو البطل المزيّف le faut héros ou l'agresseur et démasqué، وظيفة تجلّي transfiguration، وظيفة عقاب punition، وظيفة الزواج mariage[3].

وانطلاقا مما سبق ذكره سنحاول تطبيق الإجراء المورفولوجي على حكايتنا الموسومة بـ: **بنت الحداد لرابح بلعمري** قصد استصاغة هذا التراث وصبر أغواره واستكناه الدلالات التي يحتويها، مرتكزين في ذلك على الوظائف التي تضمّنها، فضلا عن أنّ هذا النوع من المقاربات ممكننا من الاضطلاع بأبعاده الموضوعيّة؛ التعليميّة التوعويّة والإرشادية. محاولين في ذلك الإجابة على الأسئلة التالية: هل توفّرت الحكاية على كلّ هذه الوظائف؟. وهل تكرّرت فيها؟. وكيف تمّ توزيعها؟. معتمدين في ذلك منهجيّة قوامها الوصف والتحليل المحايث بعد تقسيم الحكاية إلى مقاطع ومتتاليات، منطلقين من فرضيّة مفادها أنّ هناك تشابه في نمطيّة البناء من حيث تتابع الوظائف وترتيبها، باعتبارها قيمة ثابتة في الحكاية.

2. المقطع الأول

يبدأ من خروج السّلطان وزواجه من بنت الحدّاد، وهو يشتمل على أربع وظائف وهي:

- **وظيفة الافتقار Manque**: "والافتقار بصفة عامّة وظيفة ضروريّة في كلّ الحكايات العجيبة كونها تمثّل عقدة الأحداث الّتي تتطوّر بعدها الحكاية "[4].
- **خروج-لقيا-زواج**: أثناء هذا الخروج نُقل السّلطان إلى المكان الّذي توجد فيه ضالته، وتعتبر هذه الوظيفة مدخلا للاختبار الرّئيسي حسب مصطلح **غريماس**، وبعد ذكر **النّقص** حدث **خروج**، وفعل هذا الخروج نتج عنه **لقيا**، جعلت منه يسترجع الأمل بعد سماعه لحديث بنت الحدّاد وهي تقول لزميلاتها، بأنها إذا تزوّجت السّلطان ستنجب له ثلاث أولاد ليسوا كباقي البشر، لكلّ واحد منهم ميزة يتفرّد بها عن الآخر: الأوّل له صدغين واحد من ذهب والثاني من فضّة؛ و"الصّدغ ما بين لِحاظِ العين إلى أصل الأذن"[5]، والثاني أسنانه من اللّؤلؤ والمرجان وبنت جمالها يفوق جمال الشّمس.

في هذا البرنامج رغبت الذات الفاعلة (السلطان) في موضوع قيمة يسدّ به حاجته وهو افتقاده لوريث؛ بمعنى آخر وجود علاقة الرّغبة relation du désir، إذ "تجمع هذه العلاقة بين من يرغب " **الذّات**" وماهو مرغوب فيه"[6]، حيث يسعى الفاعل في هذه الحالة إلى امتلاكه لموضوع القيمة.

الفاعل ⟵ **الموضوع**

السّلطان ⟵ **وريث**

و بالنّسبة للسّلطان فإنّه قد عثر على موضوع ذي قيمة؛ وموضوع قيمته هو الزواج ببنت الحداد وإنجاب ولي عهد منها يحكم المملكة بعده. حيث نجد أنّ **الذات الفاعلة** قامت **بوظيفة اتصال**، وكانت نتيجة وظيفة الخروج الزواج.

وبهذا كان الانتقال من وضع فيه اختلال للتوازن لوضع مستقر، لتبدأ الحركة في الحكاية بالزواج.

اتصال: السلطان/بنت الحداد(الزّواج) فقدان التوازن ⟵ استقرار

إذ يمكن جمع وظائف هذا المقطع في الجدول التالي، مع الإشارة إلى الرّمز الّذي تحمله كلّ وظيفة من هذه الوظائف، مع تقديم ملخّص للجمل السردية:

الجدول 1:

المقطع	أصناف الوظائف	الوظيفة	رمزها	ملخّص الجمل السردية
الأول		الحالة البدئيّة	α	كان هناك سلطان متزوّج بامرأتين عاقرتين
	اضطراب	نقص(حاجة أو افتفار)	a	حاجة السلطان إلى وريث يخلف المملكة بعده
		خروج	B	خرج السلطان بمفرده ليتجوّل في البلاد (تنقّل)
	تحوّل	لقيا	G	يقاد السلطان إلى المكان الّذي توجد فيه ضالته، وبذلك اللقاء تجدّد الأمل في إنجابه وريث.
	حلّ	زواج	W	زواج السلطان ببنت الحداد
		القضاء على النقص	K	فرحته بحمل زوجته.

و مجمل هذه الوظائف شكلت لنا الجملة السردية التالية:

α BGW a ، حيث كان الفاعل الذّات – السّلطان – منفصلا عن موضوع قيمته، المتمثّل في رغبته بالارتباط ببنت الحدّاد، ورغبته هذه جاءت بعد سماعه لكلامها، وأصرّ على أن يتزوّج بها رغم صغر سنّها، ويمكن تلخيص ما تمّ ذكره في ما يلي: السّلطان/ ف(ذ) ∨ م ق ⟵ ف(ذ) ∧ م ق

3. المقطع الثّاني

إحساس الزّوجتين بالغيرة، وتخلّصهما من المواليد بمساعدة السّتّوت.

- **الغيرة:** إنّ حسن معاملة السّلطان وإغداقه بالخيرات على بنت الحدّاد، تسبت في غيرة الزّوجتين. وبهذا كان **الاستقرار مؤقّت**،ا وهذه الغيرة الشّديدة ولّدت في نفسيهما شرّا حملتاه لبنت الحدّاد، خاصّة بعد سماعهما بخبر حملها، وبذلك كان وراء هذه الغيرة **دوافع**. والدّوافع هي أسباب تجعل الشّخصيات تقوم بأفعال مختلفة؛ أي هي تلك البواعث والأهداف الّتي تقود ها إلى إنجاز هذا العمل أو ذاك، كما أنّها تمنح تلوينا برّاقا شديد الخصوصيّة"[7] . ويكمن دور هذا العنصر في خلق مبرّر للقيام بوظيفة ما والربط بينها

وبين الوظائف الأخرى. **فوظيفة الشّر** هنا كانت في أوّل الحكاية، ولما تواجدت فيها ما لم تكن هناك دوافع لحدوثها، وهذه الأخيرة تكسب الحكايات صفة الواقعيّة والحركة والحيويّة، وهذا ما تجسّد في هذه الحكاية؛ فالدّافع الّذي جعل السّلطان يتزوّج ببنت الحدّاد، هو تجدّد الأمل بعد اليأس والإحباط اللّذان جعلا حلم السّلطان يتلاشى ويتبدّد بمرور الزّمن. خاصّة وأنّ الزّوجتين لا تنجبان، وكان ذلك دافعا لفعل الزّواج الّذي تمّ بعد التقائه بتلك الفتاة، الّذي كان كلامها بمثابة الدّواء الّذي يشفي العليل من سقمه.

- **نقص ثاني:** حرمانه ممّن يخلف المملكة بعده، ذلك الحلم الّذي طالما رغب وتمنّى أن يتحقّق يوما ما.
- **الاستبعاد:** فبعد افتقاره لابن أصبح لديه ثلاثة أولاد، والدّافع الذي كان وراء تخلّص الزّوجتين من الأولاد الثّلاثة وإلقائهم في البحر، تخوّفهما من كره السّلطان لهما، خاصّة وأنّه أهملهما وانصرف عن الاهتمام بهما بمجرّد زواجه من بنت الحداد وسماعه خبر حملها، وذلك الخبر كان دافعا قويّا لتصرّفهما المشين. وفي الحكايات تتمّ عمليّة الإلقاء في اليمّ، بدافع الكره من جانب زوجة الأب والحسد، وهو الطّبع السّيئ الجشع الحسود للمتعدّي.

لقد تكرر هذا الفعل ثلاث مرّات، والدّافع من وراء ذلك أيضا هو جعل السلطان يكره ضرّتيهما، وكان ذلك بمساعدة شخصيّة جديدة تقوم بتنفيذ تلك العروض الشرّيرة، وتتمثّل هذه الشّخصية في **السّتّوت**. وهي شخصيّة نمطيّة معروفة في تراث المغرب العربي الخرافي، تمثّل القيم الاجتماعية والفرديّة المتناقضة[8]؛ هي ذلك "الشخص الفضولي الّذي يدخل أنفه في جميع الأمور، ويسعى بالسّوء بينهم تفعل السوء في الخفاء وتدّعي البراءة "[9].

- **ادّعاءات كاذبة** : يظهر ذلك في ادّعاءات الزّوجتين، حيث أبرم تعاقد بينهما وبين الستوت، ويسمّى هذا النّوع من التّعاقد بالعقد التّرخيصي **contrat permissif**، وكان هذا الأخير ذا طبيعة كلاميّة يخبر فيه المرسل المرسل إليه بإرادته للفعل، ويكون هنا موقف المرسل القبول والموافقة، وفي هذه الحالة يعزم تلقائيّا على الإنجاز. و تُوّج هذا الإنجاز بالنّجاح، ويعود هذا لكفاءة **الستوت** في إنجازها للمهمّة الّتي أوكلت لها، وما ساعدها على ذلك عدم انتباه السّلطان لما فعلته هي وزوجتاه.

وقد تمّ التّسبيق **لوظيفة الشّرّ** بوظائف سنشير إليها لاحقا، ويظهر الفعل الشرّير في قول الراوي: "وعندما جاء وقت المخاض، دعتا السّتوت العجوز لمساعدتهما على تنفيذ مشروعهما الدّنيء المُدَبّر من قبْلُ، حيث طلبتا الاعتناء بضرّتهما وأظهرتا الاهتمام بها إلى أن يحين وقت الوضع..، وأحضرت لهما السّتّوت جروا، وخبّأته في طيّات فستانها"[10].

- **وظيفة الإساءة:** وظيفة الإساءة مهمّة في الحكاية، فهي تضفي عليها نوعا من الحركة، وقد وردت هنا على الشّكل التّالي المتمثّل في إلقاء **المواليد في البحر** فبمجرّد وقوع الإساءة تحبك العقدة. والإساءة هنا تمّت ثلاث مرّات على التّوالي وبالطّريقة نفسها: **سرقة – اختطاف المواليد – إلقائهم في البحر**.
- **استبعاد:** والرّحيل يمثّل أساس الحكاية، وهو جمع أو وصل ليس مُتكلّفا ولا مُستكرها، وإنّما هو من صميم بناء الحكاية، يؤدّي دورا في تنمية الأحداث ودفع حركتها إلى النّهاية. **والرّحيل جاء في صورة استبعاد**، وبهذا أصبح الأولاد منفصلين عن حيّزهم المكاني الّذي وُلدوا فيه .

وللتّكرار سحره في الحكايات ودوره البلاغي، لاعتقاد الإنسان الشّعبي فيه، كما يقال **الثّالثة تكون دائما ثابتة**، لأنّها تشعره بكمال التّجربة. فالتّكرار سواء تعلّق بالأحداث أم بالشّخصيات، فإنّه يثير انتباه المستمع ويشحذ ذهنه ويوقظ خياله، ويتيح له التّجاوب مع الأحداث وتقمّص الشّخصيات في بعض الأحيان؛ إذ عدّه بروب من وسائل الرّبط أو الوصل، تهدف جميعها إلى اكتساب الحكاية سرّها، ومن ثمّة جمالها ومتعتها.

و قد تكرّرت هذه الأحداث في حكايتنا بالتّوالي وبنفس الطّريقة، وقد وردت العناصر الّتي تكررت ثلاث مرات في حكايتنا على النّحو التّالي:

- إنجاب بنت الحداد ثلاثة أولاد(كما أخبرت صديقتيها كلّ له ميزة).
- خداع السّلطان بتنفيذ الزّوجتين والسّتّوت مخطّطاتهنّ، باستبدال المولود في كل مرة بجرو والتّخلّص منه بإلقائه في البحر
- رزق السّلطان بثلاثة أولاد إلّا أنّه حرم منهم.

فالرّقم ثلاثة هو الأكثر انتشارا في الحكايات الشّعبية، وورودا في الدّيانات؛ ففي المسيحيّة نجد فكرة التّثليث: **الأب والابن والرّوح القدس**، وفي التّوراة يتكون الثّالوث من **آدم وحوّاء والثّعبان**، أمّا في الحياة فهو يدور حول ثلاثة عناصر: **الماء والهواء والأرض**، ويرمز في علم النّفس إلى **الأنا والهو والأنا العليا**، ونجد الرّواة يستخدمونه كوسيلة للإطالة والاستطراد والتّنوّع وجذب انتباه مستمعيه[11].

وقد انتهى **مشروع الزّوجتين والسّتّوت** بربط بنت الحداد مع الكلاب بعدما أوعزتا السلطان باغتنامهما الوضع المزري الّذي كان عليه، وكان ذلك ناتج عن فعلتهنّ المتكرّرة، و كونها في نظر السّلطان لا تنجب إلّا الكلاب. ففي حالة اللّاوعي قام بفعل لا إرادي– نتيجة تأثيرات خارجة عن إرادته ، وقد أتى هذا الشّرّ في صورة ربط؛ أي أنّ السّلطان قام بإنجاز **(تنفيذ)** بعد أن أعوزتاه بفعلتهما.

- **وظيفة التّواطؤ العفوي:** وتظهر في وقوع السّلطان في فخ الماكرتين والسّتّوت، ممّا جعله يساعدهنّ في تنفيذ مخطّطهنّ، والوصول إلى المبتغى دون أن ينتبه إلى ذلك.

و هنا نجد السّلطان بعد أن كان في وصلة مع موضوع القيمة، أصبح في فصلة عنه.

ف(ذ) ∧ م ق => ف(ذ) ∨ م ق

وهنا حصل الافتقار للمرّة الثّالثة، وخدع السّلطان من قبل الزّوجتين، وهكذا استكملت الحكاية صنفها الوظائفي، **بفصلة بين الذّات الفاعلة وموضوع القيمة** ليفقده بمجرّد الحصول عليه، وعاد السّلطان إلى ما كان عليه في **الموقف الاستهلالي**، حيث كان منفصلا عن موضوع القيمة، ثمّ أصبح منفصلا عنه مرّة أخرى بعد أن كان متّصلا به، وكأنّه عاد إلى نقطة الانطلاق. لتنتهي هذه المرحلة بنجاح التّعاقد، ويتجلّى ذلك في تصديق السّلطان لتلك الادّعاءات الكاذبة .

فوظيفة الشّر كما سبق وأن أشرنا تمّ التّسبيق لها، لتأخذ الأحداث مسارا آخر نحو التعقيد، حيث حاولت الزّوجتان كسب ثقة السّلطان أولا لتحقيق هدفهما المنشود. وحسب ترسيمة بروب الافتقار يحصل عن طريق تحقيق حدود المتوالية:" **استخبار/إطلاع – خدعة/ تواطؤ –إساءة/ حصول افتقار**"[12]؛ إذ يمكننا اختصارها في الجدول التّالي:

الجدول 2:

المقطع	أصناف الوظائف	الوظيفة	رمزها	ملخّص الجمل السردية
الثّاني	اضطراب	خديعة	M	الزّوجتان أظهرتا الاعتناء بضرّتيهما لتنفيذ مخطّطهما.
	تحوّل	تعاقد	ع	مساعدة السّتّوت للزّوجتين لتنفيذ مشروعهما الدّنيء.
		إساءة	A	استبدال المواليد بجراء.
		ادّعاءات كاذبة	L	الزّوجتان والستوت أخبرن السّلطان بأنّ زوجته لا تنجب إلاّ الكلاب.
		استبعاد	B	إلقاء المواليد من طرف الستوت في البحر.
		خداع	M	السّتّوت والزّوجتان استطعن جعل السلطان يصدّق تلك المزاعم الكاذبة .
		تواطؤ عفوي	θ	معاقبة السلطان لزوجته بربطها مع الكلاب.
	حلّ	الوصول	O	رعاية الأولاد وحمايتهم في المهد إلى أن وصلوا إلى برّ الأمان.

4. المقطع الثّالث:

تكفّل الشّيخ بالأولاد وتسليمهم الأداة السّحرية قبل وفاته.

إنّ كل إساءة أو حصول افتقار تنتج عنه مقطوعة جديدة ومسار وظائفي آخر، بظهور شخصية مساعدة تتكفّل بهم وتحميهم وترعاهم، وذلك بعد إنقاذهم بمساعدة قوى خيّرة "الملائكة"، الّتي حرستهم وجمعتهم في مكان واحد. وتبدأ وظائف هذا المقطع في البروز بعد مضيّ سنوات، وكان ذلك بعد أن أخبرهم الشّيخ بالحقيقة، لكن قبل وفاته ترك لهم أداة سحرية **L'objet magique** المتمثّلة **في اللّجام الذّهبي**. و"اللّجام": هو ما يُجعل في فم الفرس من الحديد[13]، و كان هذا الأخير هبة من الله، أُمّن عليها الشّيخ الكبير ليسلّمها لهم في الوقت المناسب.

- **وظيفة تسليم الأداة السّحرية:** لم يسلّمها الشّيخ لهم مباشرة بل دلّهم – أرشدهم – على مكان وجودها وكيفيّة استعمالها قبل وفاته، لكن اشترط على الأولاد عدم استخراجها من مكانها وعدم استخدامها إلّا بعد مضيّ عام على وفاته.
- **وظيفة العودة أو الرّجوع:** "تمثّل العودة بعد الانفصال بداية مرحلة الاستقرار الجديد في الحيّز المكاني، الّذي تمّ الانفصال عنه في البداية"[14]. والعودة كانت بمساعدة الأداة السحرية "**اللّجام الذّهبي**"، حيث نُقِلوا مباشرة عند استعمالهم له، وذلك بعد ذكرهم للعبارات الّتي لقّنها لهم الرّجل العجوز: " **أجبنا يا بابا مرجان أنت الرّوح والرّيح في آ ن واحد..**"[15]، مع ذكر ما يريدون منه تحقيقه لهم.

وقد عاد الأولاد على إثر ذلك معزّزين بالكفاءة والطّاقة اللّازمة لمواجهة ما سيلقاهم، وبهذا فقد اتّخذت الحكاية **هيكلا دائريّا** بعودة الأولاد إلى نقطة الانطلاق[16]. وتستمرّ الوظائف في التّتابع إلى أن تحصل **الإساءة من جديد**، والجدول التّالي يوضّح لنا وظائف هذا المقطع مع تصنيفها:

الجدول 3:

المقطع	أصناف الوظائف	الوظيفة	رمزها	ملخّص الجمل السردية
الثّالث	اضطراب	افتقار	a	وفاة الشّيخ وشعورهم بالوحدة.
	تحوّل	تسليم الأداة السحرية	F	وضع الأداة السحرية تحت تصرّفهم.
	حلّ	العودة	↓	عودة الأولاد إلى موطنهم.

5. المقطع الرّابع:

عودة الأولاد إلى موطنهم وكشف الحقائق الّتي كادت تطويها السّنون.

بعد وصول الأولاد إلى أرضهم الأمّ، جمالهم الخارق للعادة جلب اهتمام السّلطان وزوجاته وحتّى سكان المدينة، ما جعل السّلطان يتقرّب منهم وعلى وجه التّحديد من الفتاة، الّتي **جمالها كان يفوق جمال الشّمس**، جدّد ذلك الغيرة والخوف عند الزّوجتين، وكالعادة استعانتا بالعجوز **السّتّوت**. وتتلخّص وظائف هذا المقطع في:

- **الاستطلاع:** تقوم الزّوجتان بمحاولة استطلاعيّة عن طريق السّتّوت، بهدف معرفة حقيقة الأولاد الثّلاثة والتأكّد من هويّتهم، وفي هذا المقطع يُلاحظ الدّخول الفعلي للأولاد في مجرى الأحداث.
- **الاستبعاد:** ويتجلى ذلك في محاولة كلّ من الزّوجتين إبعادهم مرّة أخرى كالعادة بمساعدة **السّتّوت**، الّتي كان لها خبرة ومعرفة في التّصرّف في مثل هذه الحالات، وذلك بإيهامهم أنّ هناك أشياء تنقص في بيتهم وبالنّسبة لها كانت أمورا تعجيزيّة .
- **وظيفة عرض عمل صعب على البطل tache difficile[17]:** هنا كانت السّتوت توهم الأخت الصّغرى بوجود نقص في البيت، إلّا أنّ هذه الطّلبات كانت صعبة لدرجة عدم تمكّن أيّ شخص الحصول عليها؛ حيث قالت للبنت أثناء زيارتها الاستطلاعية: "هذا البيت جميل ولكن ينقصه الفرس الحامل ذات عشر مهارى"[18]، فبكلامها هذا تركت البنت في حيرة.

وبهذه الإيهامات كانت الشّخصيّة– **السّتّوت**– فاعلة أي محرّكة للأحداث، فغيّرت مجراها ومسارها. وأثناء عودة أخيها لفت انتباهه استغراق أخته في التّفكير نظرا لاشتياقها الحصول على تلك الفرس، وتخوّفها من عدم قدرة الحصول عليها كونهم لا يعرفون مكانها؛ لكن بعد معرفة أخيها سبب **حيرتها، لجأ للمرّة الثّانية للّجام الذّهبي الّذي جعل من هذا الأمر رغم صعوبته سهلا.**

- **وظيفة وقوع إنجاز العمل tache accomplie[19]:** حيث أخبرهم عن مكان وجود هذه **الفرس**، الّتي كانت ترعى في مرج كبير، وكان يفصل بينهم وبينها سبعة بحار؛ وسبب عدم امتلاك هذه الفرس عند أيّ شخص في هذه الدّنيا، هو **صعوبة الإمساك بها كون رجليها الخلفيتين هما البرق، ورجليها الأماميتين هما الرّيح.**

لتبدأ الذّات الفاعلة بعد تلقّيها إرشادات من طرف هذا الأخير، في إعداد الوسيلة للحصول على **موضوع القيمة.** فسأل الابن الأكبر للسّلطان اللّجام بذكره تلك العبارات كالعادة، وبما أنّ الأداة السّحرية في هذه الحكاية كانت متكلّمة، أخبرته عن كيفيّة الحصول عليها دون بذل أيّ مجهود ودون تنقّله إلى مكان وجودها؛ حيث أمره بالذّهاب إلى الحداد، ويطلب منه أن يصنع له وتدا، ليغرسه في وسط البستان، وعندما يستيقظ في الصّباح الباكر سيجد الفرس ومعها المهاري العشر. وطبّق ابن السّلطان كلّ تلك التّعليمات، وفي صباح الغد وجدها في بستانه وبذلك وأصبحت ملكا له، وهكذا تحصّل البطل على مبتغاه مباشرة، بعد استعماله للّجام دون تكبّده عناء البحث عنها؛ فكفاءته هنا كانت ماديّة، وذلك باستعماله اللّجام الذّهبي دون بذل مجهود بدنيّ.

- **التعرّف على البطل:reconnaissance du héros:** هنا تأكّدت الزّوجتان من أنّ الأولاد الثّلاثة هم أبناء السّلطان، من خلال إنجاز الابن الأكبر للسّلطان- **الذّات الفاعلة** - لتلك الأعمال الصّعبة، أي أنّه أظهر كفاءته وقدرته على الإنجاز.

فحملت **السّتّوت** على إيجاد طريقة أخرى لطردهم من المدينة، وكعادتها وجدت حيلة أخرى فقصدت بيت الإخوة الثّلاث وقالت للفتاة:"**هذا البيت جميل حقّا، وسيكون أجمل لو أنّ من بين سكّانه توجد حدّ الزّين**"[20]، وانصرفت دون إعطاء أيّ إيضاحات، وكالمرّة السّابقة طلبت الأخت من أخيها إحضار حدّ الزين والتزوّج بها.

وفي هذه المرحلة أظهر لنا **الفاعل الذّات كفاءته –الابن الأكبر**- من خلال إنجازه، المتمثل في تخطّيه تلك الصّعاب، فرغم صعوبتها استطاع أن يصل إلى موضوع قيمته، وذلك بإتّباعه النّصائح الّتي قدّمها له **اللّجام** قبل خوضه هذه المغامرة، الّتي كانت بالنّسبة له من شبه المستحيلات، حيث استعمل **مُهْرا** من تلك الّتي كانت عنده في المزرعة -. وهنا نلاحظ أنّ الأحداث جاءت متتابعة، وكان هذا الأخير من الأشياء المساعدة الّتي اختصر بها الوقت، حيث انطلقت به كالبرق نحو تلك الجبال الّتي تسكنها **سبع غيلان**، فطبّق نصيحته واشترى لكلّ واحد منهم" **موسا، مرآة وشاشيّة**"، وعندما التقى بهم حلق ذقونهم الواحد تلو الآخر، وأعطاهم "**الشّواشي**" ثم" **مرايا**" ليروا فيها أنفسهم، ولحسن صنيعه تركته يواصل طريقه نحو **حدّ الزّين**، الّتي رضيت الزّواج به بعدما تأكّدت أنّه جميل مثلها، وبهذا أصبح **العامل الذّات متّصلا بموضوع القيمة بعد أن كان منفصلا عنها.**

الجدول 4:

المقطع	أصناف الوظائف	الوظائف	رمزها	ملخّص الجمل السردية
الرّابع	اضطراب	استطلاع	E	قصدت السّتّوت بيت الإخوة لتتحرّى وتتأكّد من هويّتهم.
	تحوّل	استبعاد	B	حاولت السّتّوت إبعاد الأولاد للمرّة الثانية عن موطنهم .
		عرض	M	ذهاب الستوت لبيت الإخوة وعرضها طلبات تعجيزية.
		رحيل	↑	انتقال الابن الأكبر للسّلطان إلى المكان الّذي تتواجد فيه حدّ الزين، بعد تلقّيه تعليمات من اللّجام ساعدته على الوصول إليها.
		وقوع انجاز العمل	N	وصول الابن الأكبر إلى مكان تواجد حدّ الزّين وطلبها للزّواج.
	حلّ	العودة	↓	عودته رفقة حدّ الزين بعد موافقتها على الزواج به.

		الزواج	W	زواج ابن السلطان بأجمل وأذكي فتاة على الوجود.
		التعرّف على البطل	Q	بعد الإنجازات الّتي قام بها الابن الأكبر، تأكّدت الزوجتان من أنّ الشّابين والفتاة هم أبناء السّلطان.

6. المقطع الخامس:

تجلّي الحقائق ومعاقبة الزّوجتين والسّتّوت.

بعد مُضيّ أيّام من زواج ابنه الأكبر، أراد السّلطان أن يخطب البنت من أخويها، فدعا الإخوة الثلاث إلى قصره لتناول طعام العشاء، ولبّى الإخوة دعوته، إلّا أنّه عندما أُحضر الطّعام، اشترطت **حدّ الزّين** الّتي كانت ذكيّة ومطّلعة على أدقّ أسرار العالم، إحضار زوجاته حيث قالت: "أيّها السّلطان إنّنا لا نأكل هذا الطّعام حتّى تحضر معنا زوجتك إنّنا، لا نقبل الجور والظّلم والتّفرقة .

فأجاب السّلطان: هما أمامكم هاهما.

فقالت حدّ الزّين: تنقص الثّالثة ونرجو بإلحاح أن تكون معنا.

واعترف السّلطان وهو قلق بقوله: هذا صحيح لقد كانت عندي زوجة أخرى، وتصرّفت تصرّفا سيّئا، وعاقبتها إثر ذلك، وإنّي ربطتها مع الكلاب، فهي لا تستحقّ أن تكون معكم.

فقالت حدّ الزيّن: وحتّى إذا ربطتها مع الكلاب، فإنّنا نريد أن تأكل معنا"[21].

هنا يدخل عنصر جديد في حكايتنا وهو **الحوار**، **الّذي يعتبر من العناصر التي تربط بين الوظائف**. و كنّا قد أشرنا في السّابق أنّ الوظائف في النّصّ قد لا تأتي متجاورة، مما يخلق فجوات فيما بينها، ولسدّ تلك الفجوات أصبحت عملية الرّبط بين مختلف الوظائف مهمّة، حتّى يبدو سير الأحداث متسلسلا منطقيّا وفنّيّا. ومن أجل ذلك فإنّ نظاما كاملا لتوصيل المعلومات قد طُورّ في الحكاية وبأشكال فنّية مختلفة وأخّاذة؛ **كالتّذكير أو التّكرار الثّلاثي أو الدّوافع**.

وقد أطلق " **بروب** "على **ذلك النّظام المعلوماتي: العناصر المساعدة لربط الوظائف**، مع أنّها لا تساهم بصورة مباشرة في تطوّر الأحداث، إلّا أنّها تجعل حدوثها منطقيّا وفي صورة جذّابة، و من بين العناصر المساعدة لربط الوظائف نجد :

✓ **التذكير**: وهو أن تذكّر شخصية معينة لشخصية ما حدث لها من قبل أن تلتقي بها، وتختلف أشكال التّذكير من حكاية إلى أخرى، ومن بين أشكاله: **الحوار**، **الإخبار**، **سماع محادثة**، **المشاهدة**، ومن الأشكال التي وردت في حكايتنا: **عنصر الحوار**كما يمكننا أن نسمّيه لغة **الأداء**، ويقوم هذا الحوار حول موضوع أو فكرة مُثارة لنصل في الأخير إلى هدف معيّن، كما أنه يُعدّ محرّكا للأحداث ومصوّرا للشّخصيات. " فقد يحدث له أن يتحرك من أجل إعطاء فكرته صفة الوضوح، الّتي تتمثّل في النّفاذ إلى

كلّ جانب من جوانبها، لئلّا تبقى هناك حاجة للاستفهام أو المعارضة النّاتجة عن خفاء لبعض القضايا الملحّة"[22]. فالحوار يعطي حيويّة للنّصّ ويبعد الملل حتّى لا يصيب المستمع، ويحدث حركة فعليّة داخليّة في النّصّ، كما أنّه يقوم بعمليّة توضيح لبعض عمليّات الأحداث. ويرمي أيضا إلى " الكشف عن نفسية الشّخصية المتحاورة، أو الإيحاء بصدى الحدث فيها، أو الإسهام في تطوير هذا الحدث، بما عسى أن يترتّب على الحوار من فعل"[23]. يقوم أساسا على التّوجيه والغائية لأنّه رسالة يؤدّي فيها المتحاوران دوري: المرسِل والمتلقي.

وهنا أدّت حدّ الزّين دور الشّخصية المحاورة ، حيث كانت لديها قدرة على إقناع السّلطان بفكرتها، وكان ذلك تمهيدا لتنفيذ مخطّطها للوصول به إلى الحقيقة. أمّا السّلطان والزّوجات فقد لعبوا دور شخصية الطّرف الآخر للحوار(المتلقّي)، ونظرا لعدم إعداد هاتين الشّخصيتين جوّهما الدّاخلي، لم تتمكّنا من الهروب من المواجهة، وهنا تدخل الوظيفة التّالية المتمثّلة في:

- **المواجهة:** لتصطدم الزّوجتان بنتائج غير متوقّعة انتهى بها هذا الحوار؛ فالزّوجتان الشّرّيرتان وقعتا في مسائل جدليّة أضفت بهما إلى كشف حقيقتهما الّتي أخفتاها بمساعدة **السّتوت**. وبالتّالي كان لهذا الحوار هدف كبير فبفضله كشفت الحقائق الّتي كادت تطويها السّنون. وبه وصلنا إلى الهدف ألا وهو كشف حقيقة الزّوجتين الشّرّيرتين والسّتّوت العجوز. فلولا بداهة وفطنة **حدّ الزّين**، وثقتها بنفسها وقوّة شخصيّتها وأسلوبها الّذي اتّبعته في إثارته، لما وصلت إلى هدفها واستطاعت أن تقنع الطّرف الآخر بفكرتها المثارة، ألا وهي إحضار **بنت الحدّاد**، وباستجوابها كشفت الحقائق.

فبالانتقال من السرد إلى الحوار شعرنا بأنّ تلك الشّخصيات كانت ماثلة أمامنا، وشعرنا بتلك الحياة المتحرّكة الّتي نقلتنا من موقف إلى موقف، عشنا تلك الأحداث من خلال أبطال الحكاية الّذين شعرنا بهم وأحسسنا وكأنّنا حاضرين معهم.

وبذلك انتقلت الحكاية من مرحلة إلى مرحلة أخرى، حيث كان السّلطان في فصلة عن موضوع القيمة (الزواج بالبنت)، وذلك بفضل تدخّل **حدّ الزّين** لتتّخذ الحكاية مسارا آخر وتبلغ نهايتها.

وبهذا كان الحوار عنصرا مساعدا، به كشفت **الشّخصيّة الضّحيّة المتمثّلة في بنت الحدّاد، والشّخصيات المخادعة "الزّوجتان والسّتوت"**، فبدهاتها وذكائها نُزِع القناع عن المتعدّي **l'agresseur est démasqué.**

- **الاعتراف:** انجرّ عن اعتراف الزّوجتين والسّتّوت العقاب.

- **وظيفة عقاب punition**: وكان العقاب للزّوجتين بإلقاء الجانيتين في نار أجّاجة جزاء لفعلتهما، أمّا السّتوت فربطها السّلطان بإحدى رجلي ناقتين؛ الواحدة منها كانت عطشانة والأخرى كانت جائعة، فتمزّق جسدها بمجرّد انطلاقهما للبحث عن حاجتهما.

الجدول5:

المقطع	أصناف الوظائف	الوظيفة	رمزها	ملخص الجمل السردية
الخامس	اضطراب	المواجهة	H	واجهت حذّ لزّين الزّوجتين والسّلطان بالحقائق، وكشفها عن ميزات كلّ واحد من الأبناء الثلاثة .
	تحوّل	افتضاح الشرير	Ex	ظهرت على شكل مقصوص، والمعتديتان كانتا بين المستمعين، ولم تجد هاتان الأخيرتان ما تبرّران به فعلتهنّ، لعدم توقّعهما تلك المواجهة.
	حلّ	العقاب	U	عاقب السّلطان الزوجتين والعجوز الستوت.

7. خاتمة:

من خلال ما سبق اختصاره في الجداول من الوظائف الموزّعة على المقاطع الخمسة للحكاية، نستخلص أنّ هذه الأخيرة لم تُلمّ بجميع الوظائف، وبذلك فهي تختلف من حكاية إلى أخرى، كما يمكن أن لا تجتمع كلّها أي-31 وظيفة- في العمل الأدبي الواحد.

وبجمع جميع الأصناف الوظائفيّة الّتي احتوتها المقاطع، نحصل على" صّيغة تتابعيّة تراكميّة"، الممثّلة في الترسيمة التالية:

وف+ ض/ت/ح+ ض^{1}/ث^{1}/ح^{1} + ض^{2}/ت^{2}/ح^{2} + ض^{3}/ت^{3}/ح^{3} + ض^{4}/ت^{4}/ح^{4} + ون.

وف: الوضعية الافتتاحيّة،أو نسمّيها بالحالة البدئيّة .

ض: اضطراب يحدث فيها اختلال للتوازن.

ت: تحوّل: وهو انعطاف مباغت للأحداث، فتتّخذ فيه هذه الأخيرة مسارا معاكسا.

ح: حلّ: ويكون نتيجة لصراع .

و. ن: الوضعية النهائية أو الختاميّة.

وبهذا تكون الحكاية قد استكملت دورتها السّردية؛ ففي بداية الحكاية كان السّلطان في فصلة عن موضوع القيمة، أمّا في المرحلة الختامية أصبح في وصلة به، حيث تكاتفت كلّ العوامل لتحقيق النّهاية السّعيدة، الّتي نجدها في أغلب الحكايات الشّعبية؛ **يكون فيها الانتصار للخيّر والعقاب للجاني أو المتعدّي.**

كما خلصنا إلى:

- أنّ التحليل الوظائفي يعدّ من الآليات التي تعنى بالدراسة الداخلية للنص معتبرا إياه نقطة البدء والمنتهى.
- إنّ تقنية تقطيع النصّ إلى متتاليات أو مقاطع مكنتنا من فهم النّصّ وصبر أغواره بالتّعمّق فيه، كما أنّها سمحت لنا بدراسة العلاقات المتولّدة بين الفواعل وموضوع القيمة الّذي يسعى الفاعل الذّات إلى امتلاكه والظّفر به.
- الحكاية الشّعبية– بنية تركيبية– تتشكّل من متتاليات تتوزّع فيها وظائف وأفعال السّرديّة تتشابه في تسلسلها، وإن كانت بعض الوظائف غائبة فيها؛ إنّها عناصر ثابتة أساسيّة في الحكاية عكس الشّخصيات.

وأعتبر هذه الورقة البحثيّة بمثابة دعوة للمحافظة على هذا الموروث وذلك بـ:

- العمل على جمع ما جادت به الذاكرة الشّعبيّة، ومحاولة إعادة بعثه من جديد، في ظلّ الغزو الثّقافي من ناحية، والخروج بمادّة علميّة مكتوبة قبل أن تطويه الذّاكرة بالنسيان من ناحية أخرى، وتناوله بالدراسة والتحليل وذلك باستكناه دلالاته، وباعتبار أنّ هذا الأخير يحمل طابعا إصلاحيّا، تربويّا من شأنه أن يساهم في نشر القيم الفاضلة بين أفراد المجتمع.
- إدراج الموروث الشّعبي كتخصص يدرّس في كلّ الجامعات الجزائريّة، وكمادّة أساسيّة لا استكشافية مصنّفة في أدنى الدّرجات (معاملها ورصيدها 1)، ومحاولة ربطه بحقول معرفيّة وفنّيّة أخرى.
- العمل على ربط الطالب الجامعي بموروثه، بأصالته، تاريخه، عاداته وتقاليده، التي من شأنها أن تشكيل هويّته، بحكم أنّ المدارس والجامعات هي المخوّلة للحفاظ عليه، وذلك بفتح تخصصات تنتج متخصصين يسهمون في ترسيخ الهويّة الثقافية الجزائريّة.
- الدّعوة إلى الإبداع بهذه اللغة كرباعيات المجذوب، وقصائد بومدين بن سهلة، لنخلق بذلك تفاعلا بين المؤسسات التربويّة والجامعة والمجتمع.

8. قائمة المراجع:

– الحميداني، حميد، 2000، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، بيروت، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
– المرزوقي، سمير، د. ت، مدخل إلى نظرية القصة، د.ط، الجزائر، الدار التونسية للنشر.

– بارث، رولان، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، 2009، التحليل النصي" تطبيقات على نصوص من التوراة والإنجيل والقصة القصيرة، د.ط، سوريا، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.
– بروب، فلاديمير، ترجمة: حسن عبد الكريم و بن عمو سميرة،1996م، مورفولوجيا القصّة، ط1، دمشق، شراع للدراسات والنشر والتوزيع.
– بشير، عبد العالي، 2002م، تحليل الخطاب السردي والشعري، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع،
– بلعمري، رابح، 1982، بذور الألم " قصص شعبية من شرق الجزائر"، د.ط، باريس، المنشورات الجامعية والعلمية.
– بن محمد بن إسماعيل الثّعالبي أبو منصور، عبد الملك، د.ت، فقه اللغة وأسرار العربية، د.ط، مصر، المطبعة العمومية.
– بن هادية، علي وآخرون، 1991م–1411هـ، القاموس الجديد للطّلاب" معجم عربي مدرسي ألفبائي"، ط7، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب.
– بورايو، عبد الحميد، د.ت، التحليل السيميائي للخطاب السردي دراسة لحكايات من ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة"، د. ط، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع.
– بورايو عبد الحميد،،1992، الحكايات الخرافية للمغرب العربي " دراسة تحليلية في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات"، ط1، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر.
– بورايو، عبد الحميد،1986، القصص الشعبي في منطقة بسكرة "دراسة ميدانية"، د.ط، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب.
– حسين مهنا، غراء، 1997، أدب الحكاية الشعبية، ط1، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان.
– شيخ أمين، بكري، 1980، التعبير الغني في القرآن الكريم، ط4، القاهرة، دار الشروق.
– فتوح، أحمد، لغة الحوار الروائي، مجلة فصول، ع2، ص ص83–90، يناير – فبراير – مارس 1982.

الهوامش:

[1] – ينظر: الحميداني، حميد، 2000، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، بيروت، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ص ص 26–27.

[2] –ينظر: بارث، رولان، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، 2009، التحليل النصي" تطبيقات على نصوص من التوراة والإنجيل والقصة القصيرة، د.ط، سوريا، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ص ص69–70.

[3] – بشير، عبد العالي، 2002م، تحليل الخطاب السردي والشعري، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص ص18-19.

[4] – المرزوقي، سمير، د. ت، مدخل إلى نظرية القصة، د.ط، الجزائر، الدار التونسية للنشر، ص38.

[5] – بن محمد بن إسماعيل الثّعالبي أبو منصور، عبد الملك، د.ت، فقه اللغة وأسرار العربية، د.ط، مصر، المطبعة العمومية، ص48.

[6] – الحميداني، حميد، بنية النّص السردي من المنظور النقدي، ص33.

[7] – ينظر: بروب، فلاديمير، ترجمة: حسن عبد الكريم و بن عمو سميرة،1996م، مورفولوجيا القصّة، ط1، دمشق، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، ص93.

[8] – ينظر: بورايو عبد الحميد، 1992، الحكايات الخرافية للمغرب العربي " دراسة تحليلية في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات"، ط1، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ص10.

[9] – بورايو، عبد الحميد،1986، القصص الشعبي في منطقة بسكرة "دراسة ميدانية"، د.ط، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 134.

[10] –بلعمري، رابح، 1982، بذور الألم " قصص شعبية من شرق الجزائر"، د.ط، باريس، المنشورات الجامعية والعلمية، ص59.

[11] – ينظر: حسين مهنا، غراء، 1997، أدب الحكاية الشعبية، ط1، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ص49.

[12] – بورايو، عبد الحميد، د.ت، التحليل السيميائي للخطاب السردي دراسة لحكايات من ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة"، د. ط، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص16.

[13] – بن هادية، علي وآخرون، 1991م-1411هـ، القاموس الجديد للطّلاب" معجم عربي مدرسي ألفبائي"، ط7، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، ص945.

[14] – بورايو، عبد الحميد، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص225.

[15] – بلعمري، رابح، بذور الألم "، ص62.

[16] – ينظر: حسين مهنا غراء، أدب الحكاية الشعبية، ص49.

[17] – ينظر: المرزوقي سمير، مدخل إلى نظرية القصة، ص51.

[18] – بلعمري، رابح، بذور الألم، ص63.

[19] – ينظر: المرزوقي سمير، مدخل إلى نظرية القصة، ص51.

[20] –بلعمري، رابح، بذور الألم، ص66.

[21] – بلعمري رابح، بذور الألم، ص68.

[22] – ينظر: شيخ أمين، بكري، 1980، التعبير الغني في القرآن الكريم، ط4، القاهرة، دار الشروق، ص223.

[23] – فتوح، أحمد، لغة الحوار الروائي، مجلة فصول، ع2، ص ص83-90، يناير، فبراير، مارس 1982، ص85.